

## العلاقات التجارية بين مصر والهند<sup>(1)</sup>

648 هـ – 923 هـ / 1250 – 1517 م

أ.م.د. حسين علي الطحطوح  
السيد ياسر المشهداني  
جامعة الموصل / كلية التربية

### المقدمة :

مما لا شك فيه ان العلاقات التجارية، تعد من أقدم اشكال العلاقات التي ربطت الافراد والشعوب، ومن ثم الدول على مر العصور. وعليه فان دراسة (العلاقات التجارية بين مصر والهند) خلال العصور المؤثرة في اعلاه، تكتسب أهمية خاصة، ليس بسبب الموقع الجغرافي للبلدين كليهما وطبيعة منتجاتهما فحسب، بل بسبب تهيئة الظروف المناسبة لديمومة تلك العلاقات وتطورها، وما رافقها من تأثيرات متبادلة بين البلدين، الامر الذي اسهم في خدمة المتطلبات الانسانية الانية، فضلا عن اثره التراث للبلدين.

### المبحث الاول : السياسة التجارية :

#### اولا : مصر:

لا شك ان أي ازدهار حضاري في بلد ما يتطلب توافر عدة مقومات اسهمت في توفير الارضية الخصبة لنموه ، وبما ان التجارة هي احدى المعالم الحضارية لتقدم البلاد ذات الموقع التجاري المميز والاستقرار السياسي فضلا عن اهتمام الحكومة وتشجيعها للتجارة فمن الضروري الوقوف جليا على الابعاد الاقتصادية لها والاحاطة بهذه الامور عند دراسة علاقاتها مع البلدان الاخرى ، وهذا ينطبق تلقائيا على علاقات مصر والهند التجارية.

#### عوامل ازدهار تجارة الممالك:

على الرغم مما تركته الحروب الصليبية من اثار سلبية على جانبي البحر المتوسط (بحر الشام) فان العلاقات التجارية بين الدول لم تنقطع نهائيا ، اذ ان الاقتصاد يرتكز على وحدات يكمل بعضها الآخر ، وعندما شارفت الحروب الصليبية على نهايتها اخذ الاوروبيون يتحاشون المرور باراضي الدولة المملوكية ويعززون الطريق البري القادم من اوربا الى بلاد فارس فالهند ، ولكن هذا الطريق سرعان ما اصبح غير ملائم بسبب التغيرات السياسية التي احدثها دخول المغول لبغداد وبسط نفوذهم الى بلاد فارس . وهنا برزت الى الواقع الموانيء المملوكية لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ العلاقات التجارية الدولية<sup>(2)</sup> . ومنذ ذلك الحين اظهرت

الدولة المملوكية نظاما للتجارة له قواعد ثابتة للمبادلات التجارية القائمة بين اسيا وافريقيا واوروبا واحيانا الصين<sup>(3)</sup>.

### سياسة الممالك التجارية:

لم تكن واردات تجارة الهند وموقع مصر البحري خافية عن اذهان السلاطين المماليك، فاختدوا يشجعون تلك التجارة واتخذوا عدة سياسات كان الهدف منها ضمان استمرار تجارة مصر ، ولعل ابرز تلك السياسات:

#### أ. تأمين الطرق التجارية:

لم يكد يخلو أي طريق بحري في العصور الوسطى الاسلامية من خطر قطاع الطرق الذين وجدوا من اعمال السلب والنهب مهنة مناسبة تكفل لهم دخلا غير مشروع، وغالبا ما كانت السلطات تطاردهم وتحد من قرصنتهم . وقد حرص السلاطين المماليك على تأمين طرقهم التجارية مع الهند اقتداء بسلاطين الدولة الايوبية من قبلهم<sup>(4)</sup>، فقد شهد عهد السلطان المنصور قلاوون (678- 689 هـ / 1279 - 1290م) نزاعات واضطرابات داخلية بين عدد من القبائل العربية الساكنة في صحراء عيذاب على البحر الاحمر وعندها امر السلطان حاكم تلك الثغور بان يوفق بينها على سبيل المصالحة خوفا على فساد الطريق وذلك سنة 680 هـ / 1281م<sup>(5)</sup> . وذلك يدل على النشاط السياسي الذي بذله السلاطين المماليك من اجل تأمين طرق التجارة ليس من خطر الاعداء فحسب وانما من النزاعات الداخلية ايضا.

كما قامت مصر بتأمين رحلات تجارها في البحر الاحمر والبحر المتوسط (الشام) بشكل مضمون<sup>(6)</sup> وذلك نظام دقيق لجوازات المرور ، فلم يكن احد باستطاعته ان يترك الناحية التي يقيم فيها الى ناحية اخرى من دون اذن من السلطات ، وكذلك لا بد بتصريح او جواز للخروج من مصر . ويدرج في هذا الجواز كل من يرافق المسافرين حتى ولو كانوا عبيده<sup>(7)</sup> . ولهذا النظام فوائد عديدة للتجار وللحكومة فبوساطته تدون اسماء التجار واماكن اقامتهم ومواعيد دخولهم وخروجهم مما يسهل على الحكومة الاطمئنان على حياتهم وراحتهم كما يضمن صحة الضرائب التي تستوفي منهم<sup>(8)</sup>.

#### ب. الاهتمام بالعلاقات الخارجية:

ان مما ساعد على ازدهار تجارة مصر مع الهند هو ان سواحل البحر الاحمر كانت تدين لهم بالتبعية ولو اسميا طيلة مدة حكم المماليك ، وعمل عدد من السلاطين المماليك امثال

الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون (658-676هـ/1260-1277م) على تأكيد تلك التبعية عن طريق اقامة علاقات طيبة مع سلاطين اليمن ، تلك العلاقات التي استمرت حتى عهد الدولة الرسولية في اليمن (626-858هـ/1229-1454م) حرصا على سلامة التجارة والتجار<sup>(9)</sup> ومثل هذا الكلام يقال على سياسة المماليك تجاه بلاد الحجاز التي ظلت تدين بالتبعية لسلطان المماليك الذي يخطب له على منابرها باسم (حامي الحرمين)<sup>(10)</sup> حتى اصبحت مصر بفضل تلك السيادة البلد الاغنى في الدولة العربية الاسلامية بتجاريتها مع الهند<sup>(11)</sup>.

فضلا عن ذلك فقد عقد المماليك عددا من الاتفاقيات التجارية مع مجموعة من الممالك الاسبانية والجمهريات الايطالية التي كان الهدف منها تحقيق الربح المادي وتنشيط حركة التبادل التجاري معها<sup>(12)</sup> وساروا على سيرة اسلافهم الايوبيين فاقاموا عناصر تشرف على شؤون افراد الجاليات الاجنبية ومصالحها التجارية<sup>(13)</sup> . وقد اوردت عددا من المصادر نصوصا تشير الى ابلاغ السلاطين المماليك لنوابهم على الموانئ والمدن التجارية لحسن معاملة التجار والتودد اليهم<sup>(14)</sup> ومنها المرسوم الذي اصدره المنصور قلاوون سنة 678هـ / 1279م، ووجهه الى ملوك وسلاطين بلاد الهند واليمن والصين وتجارها ليحثهم على القدوم الى مصر واقامة علاقات تجارية معها<sup>(15)</sup> فيقول فيه "ومن يؤثر الورود الى ممالكنا ان قام او تردد فليعزم عزمنا من قدر الله له في ذلك الخير والخبرة ويحضر الى البلاد لا يحتاج ساكنها الى ذخيرة لانها في الدنيا جنة عدن لمن قطن ومسلاة لمن تغرب عن الوطن ، فمن وقف على مرسومنا هذا من التجار المقيمين في الهند واليمن والصين لا يخشون فيها من يجور فان العدل قد اجار ..."<sup>(16)</sup>. وذلك المرسوم ان دل على شيء فانه يدل على حرص المماليك على ضمان حرية تجارتهم مع الهند عبر الطريق البحري فضلا عن الاشارة بموقع مصر التجاري كوسيط في التجارة الدولية<sup>(17)</sup>.

### ج - سياسة المماليك مع التجار :

تقرب السلاطين المماليك من التجار وتوددوا اليهم وكانت طبقة التجار من اعلى طبقات المجتمع المملوكي ، وكان ترددهم الى البلاط دائما ومستمر فهم اصدقاء السلاطين وحاشيتهم وهم على درجات في الاحترام لدى السلطان فمنهم " الجناب العالي ، والصدر الكبير ، والخواجكي ، وثقة الدولة وجمال الاعيان.." <sup>(18)</sup>. فكانت مراسلات السلاطين لهم لا تخلو من عبارات الاجلال والاحترام فهم دون شك اسهموا في نهضة البلاد وعمرانها بخاصة اولئك التجار المسالمين الذين ينفقون جزءا من اموالهم في الاعمال الخيرية<sup>(19)</sup>.

هذا وكان من مظاهر النشاط التجاري في مصر والشام ومنذ العصر الايوبي بناء الخانات والفنادق<sup>(20)</sup> لتكون محطات لاستراحة المسافرين ولايواء التجار ومبيتهم وذلك في المدن

والموانيء الرئيسية<sup>(21)</sup> وقد تابع المماليك تلك السياسة وبنوا فنادق متعددة تشهد لها مدن الاسكندرية ودمياط وغيرها وكانت التوصيات تأتي من السلاطين المماليك الى حكام الثغور والموانيء لتؤكد الحفاظ على راحة التجار في الفنادق وحفظها من التخريب والاذى ، تلك الفنادق التي خصص بعضها لاقامة التجار الهنود واليمنيين وخصص البعض الاخر للتجار الاوربيين<sup>(22)</sup>. ومن الطبيعي ان تكون هذه الفنادق قد انشئت قرب الاسواق والاماكن التجارية وقد وجد في بعضها اماكن للصلاة والعبادة ، ومن ابرز الفنادق في العصر المملوكي فندق الفسطاط ، وخان الخليلى<sup>(23)</sup>.

فضلا عما سبق ذكره فقد اتبع المماليك سياسية اقتصادية تهدف الى جمع اكبر قدر ممكن من المال من دون النظر الى العواقب ففرضوا على التجار عددا من الضرائب غير الشرعية التي تؤخذ منهم فوق الحد المقرر لها على مجموعة السلع ، وهذا ما يسمى بالمكوس<sup>(24)</sup>. فمثلا كانت نسبة الضرائب المفروضة على البضائع الواردة من الهند الى الاسكندرية ودمياط تصل نسبتها بين عشرة الى خمسة وثلاثين بالمائة فتدفع السفينة التجارية ضريبة تربو على اربعين الف دينار<sup>(25)</sup>.

كما جنت مصر من ضريبة العشر ارباحا طائلة حتى يقال ان ناظر جدة حمل سنة 828هـ/1424م الى الخزنة المصرية ما يزيد على سبعين الف دينار ثم وصل هذا المبلغ سنة 850هـ/1446م الى مائتا الف دينار<sup>(26)</sup>.

وبهذا نلاحظ ان نسبة الضريبة تتغير تبعا للظروف الاقتصادية وكمية البضائع والعرض والطلب كما يمكننا ان نستنتج ايضا ان سياسة المكوس التي فرضها المماليك والتي كانت سببا في الانتعاش الاقتصادي لمصر كانت قد حملت بين طياتها عوامل الاضمحلال والتدني في علاقاتها مع البلدان التجارية فنلاحظ ان تجارة المماليك تأرجحت في مدد مختلفة ما بين النمو والنقود والازدهار وبين الانكماش والتأخر والانحطاط نتيجة لما فرضه السلاطين المماليك من مكوس عالية على التجارة الخارجية الامر الذي دفع عدد من تجار الهند ومجموعة من ارباب المتاجر الاوربية في جنوا والبندقية الى سحب قناصلها ووقف التعامل مع مصر تجاريا . وعندما احس المماليك بخطورة الامر بدأوا يغيرون قليلا من سياستهم فمارسوا سياسة اسقاط المكوس او تخفيضها واول من بدأ بها من المماليك هو السلطان الناصر محمد بن قلاوون (709 - 741هـ/1310-1341م) وذلك اقتداءا بالسلطان صلاح الدين الايوبي الذي اسقط المكوس عن مصر سنة 563هـ/1167م وجعل تجارة مصر حرة<sup>(27)</sup> فقام الناصر محمد بالغاء المكوس عن التجارة والبضائع والسلع في التجارة الداخلية والخارجية كالمح والسكر وتجارة الرقيق وخفض ضريبة المرور في النيل وسهل توريد السلع الاجنبية الى مصر وعاقب كبار الامراء والتجار

الذين امتنعوا عن تنفيذ هذا المرسوم ، كما اعاد الى الخلافة السلطانية كل ما جمع ظلما وتعسفا من الاموال فانتعشت البلاد في عهده ايما انتعاش<sup>(28)</sup>. ولم تقتصر سياسة الناصر محمد على مصر فحسب بل طبقتها على الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ومتاجرها وذلك عندما ذهب للحج في ولايته الثالثة سنة 732هـ / 1331م فجعل سعر اردب القمح خمسة دراهم والشعير ثلاثة دراهم<sup>(29)</sup>.

وعزز السلطان الظاهر برقوق (784 - 801هـ/ 1382 - 1399م) من السياسة نفسها فاسقط الكثير من المكوس عن التجار اوقات الازمات وفرح الناس بها كثيرا<sup>(30)</sup>. ومن جانب اخر فقد اعتنى السلاطين المماليك باختيار نظار الدواوين عناية فائقة وبخاصة اولئك الذين يأخذون الضرائب بانتظام من التجار الواردين الى الموانئ المملوكية . وقد اورد ابن مماتي تعريفا بمستوى الضرائب قائلا : "هذا كاتب يكون صاحب مجلس في الديوان يطالب المستخدمين فيما يجب عليهم رفعه من الحساب في اوقاته وينبه متولي الديوان على ما يجب استخراجه من المال في اعيانه ويقيم الجرايد ويقابل بكل ما يرد عليه من حساب ويستوفيه ويخرج ما يجب تخريجه فيه"<sup>(31)</sup>.

ونستنتج من ذلك تعدد مهام مستوفي الضرائب وجهده في استخلاص الضريبة مع الاشارة الى دقة عناية الدولة في اختياره وثقتها به ، ومن ابرز نظار الدواوين في العهد لمملوكي الامير سعد الدين بن ابراهيم بن المرة الذي ارسله السلطان برسباي (825-842هـ/ 1422-1438م) سنة 831 هـ / 1428م لاجل ضرائب تجارة الهند في ميناء جدة فقام باعمال عمرانية واسعة وبنى فيها جامعا وعندما لاحظ السلطان هذا الاهتمام منه بادر بارسال قوة عسكرية لدرء الاخطار المحيطة بجدة وحمايتها من السلب والنهب<sup>(32)</sup>. وكان مستوفي الضرائب يمثل السلطة المملوكية في منطقة حكمه وينفذ الاوامر والتعليمات الصادرة اليه من الناحية الادارية<sup>(33)</sup>.

## ثانيا: الهند . سياسة الهنود التجارية :

لم تختلف الظروف والسياسة الاقتصادية التي اتبعتها الهند في سبيل تيسير تجارتها واستغلال مواردها كثيرا عنها في مصر ، فقد اهتم سلاطينها بالتجارة والتجار<sup>(34)</sup> معا واقاموا علاقات تجارية وثيقة مع بلدان سواحل البحر الاحمر والمحيط الهندي كافة والدليل على ذلك هو ان الهند كانت اول من استجاب الى المرسوم الذي اصدره السلطان المنصور قلاوون ، فبعد سنوات قليلة من اعلانه جاءت الى مصر سفارة من الهند تطلب اقامة العلاقات التجارية بين البلدين لتمهد لنشاط تجاري واسع بينهما<sup>(35)</sup>. كما اهتم السلاطين الهنود بالتجار وسياسة التعامل معهم فقد تقربوا اليهم بالرعاية والعناية التامة بخاصة من اشتهر منهم بالامانة والاخلاص ، وعن

ذلك فقد قدر لنا الرحالة ماركوبولو في رحلته سجايا التجار الهنود تقديرا حسنا اذ قال عنهم: "انهم افضل وانبل ما يمكن فهم لا يكذبون وان كانت حياتهم متوقفة على الكذب"<sup>(36)</sup>.

ومن جانب آخر فان مصر لم تكن وحدها تقيم الفنادق والخانات لاستقبال المسافرين والتجار بل كان سلاطين الهند الاسلامية يلقون بالمثل التجار المصريين وغيرهم ، الذين يفدون الى ديارهم ويلقون عندهم العناية والرعاية ، فقد ذكر ابن بطوطة ان بلاد الهند آمن البلاد واحسنها حالا للمسافرين فاذا كان معهم الاموال الكثيرة فلا يخافون عليها ، وترتب على ذلك ان يكون لهم فندق يسكن فيه جماعة من الفرسان ومدير للفندق ، فاذا جاء وقت الليل جاء المدير ومعه كاتبه ليدون اسماء من يبيت به من التجار ، وكان من عادة اهل الهند ان يضيفوا زائرهم ثلاثة ايام اكراما لسلطان الهند وبالمقابل كان التجار يعطون ضريبة تسمى (حق بندر المرسى) للسلطات<sup>(37)</sup>.

## المبحث الثاني : الثوابت التجارية

### اولا : طرق التجارة وموانئها

شهدت التجارة مع الهند انتعاشا اضافيا اثر تولي المماليك الحكم في مصر سنة 648هـ / 1250م ، ومع انتهاء الحروب الصليبية اصبح الاوربيون شديدي الحرص للحصول على منتجات الشرق ، الامر الذي اعاد طرق التجارة المتبادلة في البحر الاحمر والبحر المتوسط والمحيط الهندي الى ما كانت عليه قبل القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد في النشاط والحركة<sup>(38)</sup> وكان من اهم الطرق التجارية الموصلة بين مصر والهند : الطريق البحري المعروف الذي يأتي من سواحل الهند ويستمر حتى يصل موانيء البحر الاحمر (القلزم) ومن هناك تنزل السفن حمولتها في ميناء عيذاب<sup>(39)</sup> حيث تنقل البضائع على ظهور الجمال التي تتهادى في مشيتها لمدة ثلاثين يوما لتصل الى شواطئ النيل ثم الى القاهرة ومنها الى الموانئ المصرية<sup>(40)</sup>.

والطريق الاخر يأتي من الصين فالهند ثم الى الخليج العربي حيث يتفرع الى البصرة وبغداد ثم يتجه في اتجاهين شمالا الى ديار بكر ، وغربا الى دمشق ، ومنها الى الموانئ المملوكية على البحر المتوسط ثم يسير بمحاذاة الساحل الى غزة ويعبر الصحراء الى القاهرة فضلا عن ذلك كان هناك طريق آخر يبدأ من بولاق - القاهرة ويستمر بالنيل جنوبا الى ميناء قوص<sup>(41)</sup> ومنها شرقا الى عيذاب على البحر الاحمر ثم يدخل المحيط الهندي والسواحل الهندية، الا ان هذا الطريق بطل استخدامه منذ اوائل القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد لطوله وكثرة تفرعاته<sup>(42)</sup>.

وهكذا كان الطريق الاول (طريق البحر الاحمر) هو الاساس في التجارة بين مصر والهند وربما كان هذا الطريق معقدا وصعبا لكنه كان اقصر الطرق وآمنها<sup>(43)</sup>. وعندما كانت السلع والبضائع الهندية تصل الى موانئ القاهرة ينقل بعضها الى الموانئ الايطالية بعد ان تجتاز جبال الالب وتتحد الى وادي الراين لتصل الى ميناء بروچ Broach ملتقى تجار اوربا<sup>(44)</sup>.

وبذلك استطاعت مصر ان تحافظ على تجارتها مع الهند واوربا وتحفظ بالوقت نفسه باليد الطولى في حروبها مع الصليبيين وتظل مركز الثقل في التجارة الدولية<sup>(45)</sup>، لذلك حاول المماليك الابقاء على طرق التجارة مع الهند واسرارها وقفا عليهم وعدم تسربها الى غيرهم فحظروا على جميع السفن غير الاسلامية من القيام باي نشاط بحري في البحر الاحمر متذرعين بالحرص على سلامة وحماية الاماكن الاسلامية المقدسة ، وانزلوا اشد العقوبات بالسفن التي تتعدى ذلك الحضر وادى ذلك الى ان اصبحت الملاحة في البحر الاحمر حكرا على السفن الاسلامية والصديقة<sup>(46)</sup>.

ونظرا لوقوع حدود الدولة المملوكية على سواحل البحر الاحمر والبحر المتوسط فقد زخرت بعدد من الموانئ والمرافئ التجارية لتكون محطة لاستراحة التجار والسفن ولتكون ساحة للتبادل التجاري وعرض السلع، فضلا عن الموانئ المذكورة كانت موانئ الاسكندرية<sup>(47)</sup> ودمياط<sup>(48)</sup> هي الوجه البحري للتجارة مع اوربا ، وموانئ مصوع وسواكن فهي تختص بنقل تجارة الحبشة وبلاد النوبة<sup>(49)</sup>.

ومن موانئ البحر الاحمر الاخرى ميناء القصير الذي يقع من جهة الشمال عن عيذاب وتصله القوافل شرقا من الصحراء حيث تستغرق سبعة عشر الى عشرين يوما<sup>(50)</sup> ، ثم ميناء الطور جنوبي غربي شبه جزيرة سيناء حيث تأتية السلع من جدة<sup>(51)</sup> وعدن<sup>(52)</sup> وزادت اهميته بعد خراب ميناء عيذاب سنة 760هـ/1359م فأصبح مركزا للسلع الآتية من الهند<sup>(53)</sup>. وفضلا عن تلك الموانئ الرئيسية فقد ارتبط بها عدد من الموانئ والمرافئ الفرعية الاخرى والتي ادت دورا في العلاقات التجارية بين مصر والهند كميناء ينبع كثير العمائر والاسواق وميناء ايلة على الطرف الشرقي بالبحر الاحمر في مقابلة القلزم<sup>(54)</sup>.

اما ابرز موانئ الهند التجارية فهي الموانئ الواقعة على ساحل المحيط الهندي الطويل لاسيما ميناء كوجرات Gujarat وهي من اهم المناطق الاسلامية البحرية، إذ كان التجار العرب يترددون اليها منذ اقدم العصور ويعرضون بضائعهم في اسواقها الكبيرة. وبالقرب من كوجرات يقع ديو Diu الشهير الذي اكتسب اهمية كبرى في التجارة نهاية العصور الوسطى الاسلامية حيث استوطنت فيه جاليات عربية، وكان اغلب سكانه يعملون في التجارة، وكان يصله من بلاد

الممالك الذهب والفضة والاسلحة والاصواف الايطالية ومجموعة من المواد الاخرى<sup>(55)</sup>. وعلى ذلك الساحل الطويل هناك ميناء كنباي Gambay الذي يستقبل السفن المصرية محملة بالخيول والقطن وعدد من المنسوجات لتعود تلك السفن بالتوابل والاحجار الكريمة وغيرها من البضائع الهندية<sup>(56)</sup>.

كما ضم ذلك الساحل الكثير من المراسي والمدن التجارية الاخرى لاسيما كاليكوت Calicut<sup>(57)</sup> وسندان Sindan ونلهورة Nalhourea وسومنات Somnat وغيرها<sup>(58)</sup>.

### ثانيا : اسلوب التعامل التجاري :

اشارت المصادر الى وجود طرائق متعارف عليها لتقييم ثمن البضاعة على الرغم من وجود نظام نقدي تجري على اساسه العمليات التجارية<sup>(59)</sup>. وبما ان التبادل التجاري قام في بداية امره على استخدام المعادن النفيسة سواء كانت عملات ذهبية ام فضية فإن ذلك لم يكن جديدا في تجارة العصور الوسطى<sup>(60)</sup>. وفي مصر استخدمت الدولة المملوكية النقود الكاملية نسبة الى الملك الكامل الايوبي ولمدة طويلة حتى ولي الملك الظاهر بيبرس السلطنة ف ضرب الدراهم الظاهرية وجعل كل مائة درهم تحتوي على سبعين بالمائة ذهبا وثلاثين بالمائة نحاسا وجعل على وجه العملة رنكة أي شعار وهو يمثل صورة سبع . وظلت هذه الدراهم فضلا عن النقود الكاملية تستخدم في مصر حتى سنة 781هـ/1382م<sup>(61)</sup>. وقد تغيرت العملات المملوكية تبعا لكل سلطان سك عملة البلاد بأسمه فعندما ولي الظاهر برقوق السلطنة ضرب العملة بأسمه، كما سك السلطان الاشرف برسباي الدينار الاشرفية وهكذا<sup>(62)</sup>.

ومن جانب آخر فقد ظهرت الحاجة في بعض الاحيان بالعودة الى نظام المقايضة في البيع والشراء خاصة في مناطق صعيد مصر، واوقات الازمات وهذا ما اطلق عليه بالتعامل بالكودة<sup>(63)</sup>، ولم تقتصر هذه الطريقة في التعامل على مصر وحدها بل كان بعض اهل الهند يقابلون عددا من المواد والسلع بالمواد الاخرى، كما استخدمت التوابل والفواكه والمعادن غير النفيسة اساسا لهذا التعامل وكان التجار ايضا في مصر يبادلون بضائع الهند والصين بمنتجات مصر والحبشة الواردة الى موانئهم، واستمر ذلك حتى سنة 770هـ/1371م<sup>(64)</sup>. وكان التعامل بالنقود الذهبية معرضا للغش والتزوير في كثير من الاوقات، فكان السلطان يعاقب جماعة من المدلسين الذين يغشون في العملة فيقطع ايديهم، كما حدث في عهد السلطان قايتباي (873-901هـ/1468-1495م) سنة 860هـ/1455م عندما قبض على مجموعة منهم وعاقبهم ثم اصلح العملة<sup>(65)</sup>.

اما في بلاد الهند فقد كانت عملة البلاد الاساسية تسمى (تكة)<sup>(66)</sup> وكان التعامل بها قائما طيلة القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد . فضلا عن مجموعة من العملات التي سكها سلاطين الهند الاسلامية بأسماء الخلفاء العباسيين في القاهرة كما مر بنا في الفصل الثاني.

### ثالثا : السفن :

اما ما يتعلق بالسفن التجارية فقد اختلفت تسمياتها واشكالها وطريقة صنعها بحسب طبيعة البحار التي تبحر فيها، فكانت سفن المحيط الهندي والبحر الاحمر كبيرة<sup>(67)</sup> وتتكون من دفة واحدة وشرع واحد وليس فيها سطح ولكن مجرد غطاء ينشر فوق الحمولة بعد شحنها<sup>(68)</sup>. وقد استخدمت طريقة مختلفة في صنعها إذ كانت الألواح تخاط بحبال من ليف النار جيل وتشد بإحكام الى ان تسد الشغرات جميعها وتتخلل الألواح بعيدان النخيل ثم تطلّى بدهن الخروع او دهن القرش (الحوت) وهو الافضل لسد الفتحات<sup>(69)</sup> ، ولم تكن المسامير تستخدم في بناء هذه السفن (على عكس سفن البحر المتوسط) "وذلك خوفا من تأكلها بماء البحر المالح"<sup>(70)</sup> . وبما ان البحر الاحمر يحتوي على صخور وتيارات بحرية واعاصير فقد تطلب ذلك تغييرا في بناء السفن التي تسير فيه، فكان الخطر الوحيد الذي تخشاه السفن ذات الاحجام الكبيرة في مياه البحر الاحمر والمحيط الهندي هو تقلب الظروف الجوية لذلك لم تكن السفن تبحر حتى تتأكد من الظروف الجوية المساعدة . وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الرحلة الى الهند من السواحل العربية ممكنة طوال العام حتى يمكن القيام برحلتين ذهابا وايابا الى الهند<sup>(71)</sup>. وتبدأ الرحلة الاولى في شهر آذار من السنة ثم تبدأ الرحلة الثانية في شهر ايلول<sup>(72)</sup>.

وعن طبيعة الملاحة في البحر الاحمر يقول الرحالة ابن بطوطة : "هذا البحر لا يسافر فيه في الليل لكثرة احجاره وإنما يسافرون عند طلوع الشمس الى غروبها ويرسون وينزلون الى البحر فإذا كان الصباح صعدوا الى المراكب ..."<sup>(73)</sup> لذلك احتاجت تلك السفن انواعا معينة من الاخشاب امتازت بصلابتها لتقاوم التيارات البحرية القاسية<sup>(74)</sup> .

وعلى الرغم من استعانة الريان والسفانين بالنجوم للتأكد من الطريق الذي يسلكونه إلا انهم استخدموا البوصلة في طريقهم ، فضلا عن معرفتهم بانتظام هبوب الرياح الموسمية<sup>(75)</sup>. وبذلك يتبين ان الطريق البحري وموانئه وسفنه آنذاك لا تكاد تختلف كثيرا عما كانت عليه ابان المدد الاسلامية السابقة<sup>(76)</sup>.

### رابعا : اهم الصادرات والواردات :

ان دور مصر كوسيط تجاري بين الهند واوربا يبين قلة ما كان يصدر منها الى الهند فكان لا يتعدى على مجموعة من المنتجات الزراعية والمصنوعات ، لا سيما القطن والكتان والمنسوجات الحريرية إذ كانت صناعة النسيج في مصر من اهم الصناعات التي لقيت رواجاً عالمياً فكان ابناء الطبقات الراقية في الهند واوربا يرتدون الملابس الحريرية المنتجة في مصر<sup>(77)</sup>. وقد صدرت انواعاً من الخيول فضلاً عن ما كان يصلها من عدد من المناطق كالذهب والمعادن النفيسة والاسلحة<sup>(78)</sup> ومجموعة القراطيس التي اشتهرت بها مصر فضلاً عن مواد اخرى كمعدن الزبرجد ودهن البلسان<sup>(79)</sup> .

اما الواردات المصرية ، فيبدو ان البضائع الهندية كانت عاملاً مساعداً على رواج التجارة والتنافس البحري بين الامم من اجل الحصول عليها بأنواعها المتميزة. وقد تنوعت هذه البضائع لتمتع ارض الهند بتوافر الكثير من المعادن والجواهر والمنتجات الزراعية التي زخرت بها ايضاً المتاجر الكبيرة التي اقترنت بأسمها<sup>(80)</sup> ويقف في مقدمتها :

### آ. التوابل :

وتعد من اهم ما تنتجه ارض الهند بكميات ضخمة وفي مختلف الممالك الهندية لا سيما في سواحل مليبار إذ تتوافر فيها اشجار الفلفل العالية وتتدلى عناقيدها على الاغصان حتى إذا هبت الرياح سقطت على الارض فيجمعها الناس وعلى الرغم من ان حكام عدد من المناطق التي تتوافر فيها التوابل كانوا من الهندوس إلا ان ذلك لم يمنع من قيام صلات تجارية عميقة مع التجار المصريين الذين نقلوا بأنفسهم كميات كبيرة من التوابل الى موانئ عدن والاسكندرية<sup>(81)</sup> . ومنذ القرن الخامس للهجرة / العاشر للميلاد اضيف الى بلاد الاسلام اجزاء كبيرة من بلاد الهند (الفتح الغزنوي) ذات الشأن التجاري العظيم حتى اصبحت تجارة الشرق اكثر توسعاً واهمية في الاقتصاد العالمي فصارت اغلب موانئ الهند في كوجرات والبنغال تحت حكم المسلمين<sup>(82)</sup> .

تتألف التوابل الواردة من بلاد الهند من مواد مختلفة منها : الفلفل بأنواعه<sup>(83)</sup> والزنجبيل<sup>(84)</sup> والكافور<sup>(85)</sup> والقرنفل<sup>(86)</sup> + والخلونجان<sup>(87)</sup> وغيرها . وعلى الرغم من تعددها فإن الفلفل والزنجبيل ركز عليهما النشاط التجاري وحظيا بإهتمام استثنائي في العقود التجارية، وكان الفلفل يفرز مثل بقية انواع البهار ، لفصل النوع الجيد من اسقاطه التي تقل قيمتها . وقد تأرجحت كمية الفلفل المعروضة في اسواق القاهرة والاسكندرية وربما يعود ذلك الى مدى توافره في مصدره الهندي لأننا نفتقر الى معطيات الكميات الجمالية المردة من الهند ولا نملك معطيات عما يتركه الممالئك لاستهلاكهم الخاص ، او ما يحول الى موانئ بلاد الشام ، ولكنها كانت كميات ضخمة عموماً<sup>(88)</sup>.

وهكذا كانت تجارة التوابل الهندية من العوامل المهمة في ازدهار الاقتصاد ، إذ درت ربحا هائلا للطرفين بوصفها سلعا يشتد طلب الناس عليها جميعا<sup>(89)</sup> . وقد كانت لهذه التوابل خزانة خاصة في مصر تسمى بـ(خزانة التوابل) وخصص لها ناظر ينظر بأمر صادرها وواردها<sup>(90)</sup> . وكان انقطاع او ندرة وصول هذه التوابل يسبب ضائقة اقتصادية شديدة وركودا تجاريا لمصر والمتاجر الاوربية على حد سواء ، فمثلا في سنة 1346هـ/748م قل وجود الفلفل في القاهرة حتى بلغ سعر الرطل منه ستة واربعين درهما وعندما انفرجت الضائقة بقدم الحجاج عن طريق عيذاب نزل سعره الى خمسة دراهم للرطل الواحد<sup>(91)</sup> .

وان كانت نوعية هذه التوابل وجودتها مثار اعجاب تجار مصر والاسكندرية فإن اسعارها العالية لم تكن موضع دهشة احد في اسواق اوربا فقد استخدموها لحفظ الاطعمة خلال فصل الشتاء الطويل كما ازداد استخدامها في صناعة المراهم الطبية ، فهي للتطيب والتطبيب ، وعن اهمية التوابل يقول احد المستشرقين : "لعله ليس للفلفل الآن اهمية كبيرة بيد انه كان في العصور الوسطى يقف مع قدم المساواة مع الاحجار الثمينة ، فإن الناس كانوا يجابهون مخاطر البحار ويقاثلون ويموتون في سبيل الفلفل"<sup>(92)</sup> .

## ب. مواد الزينة والبخور :

تأتي هذه المواد بالمرتبة الثانية من حيث استيرادها من الهند ، وكثر استخدامها عند اهل القرون الوسطى اعتقادا منهم بأنها تطرد الارواح الشريرة ، ومن هذه المواد : شجر العود المنتشر في مناطق كثيرة من بلاد الهند حيث كان يستخدمه السدنة في المعابد للتقرب من الآلهة<sup>(93)</sup> ولا تقتصر استخدامات العود على التبخر فحسب بل انه له استخدامات طبية متعددة واجود انواعه العود المندي ، والعود القماري<sup>(94)</sup> .

ومن المواد الاخرى التي تستخدم للتطيب والتعطير المسك الهندي الذي يجلب من هضبة التبت<sup>(95)</sup> ثم العنبر<sup>(96)</sup> بأنواعه المتعددة واصنافه المختلفة واجوده العنبر الشحري وهو ما قذفه بحر الهند الى ساحل الشحر من ارض الهند<sup>(97)</sup> .

## ج. مواد اخرى متنوعة :

اشارت عدد من المصادر الى كمية كبيرة من المواد القادمة من الهند التي لقيت رواجا في اسواق القاهرة والاسكندرية، وشملت هذه المواد انواعا جيدة من الاخشاب كالابنوس والساج والصنل التي كانت تصل دار صناعة السفن في السويس ثم انواعا متعددة من السيوف الهندية<sup>(98)</sup> . فضلا عن ما تميزت به الهند من تصديرها لانواع معينة من الحيوانات الجميلة

كالنمور والفيلة والبيغاوات، وقد شاهد ماركوبولو البضائع الغريبة والحيوانات الجميلة في موانئ القاهرة حيث توزع منها الى انحاء العالم كافة<sup>(99)</sup> .

كما استوردت من الهند كميات من الاحجار الكريمة والجواهر التي اقتناها الملوك والسلطين لعظم ثمنها وخفة حملها والمباهاة بها كالدر والياقوت والمرجان والزمرد وغيرها<sup>(100)</sup>. وقد وجد من السلطين الممالك من تباهي بلبس خواتيم مطعمة بالياقوت والفيروز والزمرد وتزين بالعطور القادمة من الهند<sup>(101)</sup>.

ولاهمية المنتجات الهندية في التجارة فقد اورد القزويني وصفا شعريا لها فقال :

|                                     |                                        |
|-------------------------------------|----------------------------------------|
| لعمري إنها ارض اذا القطر بها ينزل   | يصير الدر والياقوت لمن يعطل            |
| منها المسك والكافور والعنبر والمندل | واصناف من الطيب ليستعمل من يتقل        |
| وانواع الافاوية وجود الطيب والسنبل  | ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل |
| وان التوتيا فيها كمثل الجبل الاطول  | ومنها البير والنمر ومنها الفيل والدغفل |
| سيوف مالها مثل قد استخنت عن الصيقل  | وارماح اذا ما اهتز لها الجففل          |

فهل ينكر هذا الا الرجل الاخل<sup>(102)</sup>

وهكذا يتضح من خلال ما سبق ان الميزان التجاري كان يميل لصالح الهند نظرا لحاجة دول الشرق والغرب لمنتجاتها .

## المبحث الثالث : دور تجار الكارم في العلاقات المصرية الهندية كارمية : Karimi

وردت الكلمة في المصادر العربية على اشكال متنوعة منها (كارمي ، اكارم ، كارم) ليست هناك كلمة في اللغة العربية تحمل معنى يتعلق بنشاط الكارم التجاري ، فخفضت الكلمة لدراسات عديدة فأختلف المؤرخون في تحديد معنى للتسمية<sup>(103)</sup> وعلى أية حال فهم مجموعة من التجار من قوميات مختلفة ظهوروا اواخر العصر الفاطمي واشتهروا بجلب البضائع النفيسة من الهند وبخاصة التوابل وتفرّدوا ببيعها بأسواق مصر ، واول اشارة في المصادر العربية تدل على ظهورهم يقدمها ابن ابيك الدودار عند حديثه عن تعرض سفن الكارم لهجوم قطاع الطرق سنة 517هـ/1123م في العصر الايوبي في حين ان نشاط تجار الكارم بلغ ذروته في العصر المملوكي اذ اقترنت تجارة الممالك باسمهم لما جلبوه من بضائع بهروا الشرق والغرب معا بها، حيث توحدت قواهم التجارية دون أي تمييز عنصري بينهم وخلقوا نزعة تجارية منعت التجار الفرديين (العاديين) من منافستهم في تجارة الهند<sup>(104)</sup> . وغالبا ما تحتاج التجارة الى قوائم مكتوبة خاصة اذا كانت واسعة تمتد الى مختلف الاماكن البعيدة، ولا نستطيع ان نعرف احوال تجارة مصر والهند في العصور الوسطى من دون مساعدة وثائق ترسم لنا صورة توضيحية عن تلك التجارة<sup>(105)</sup> .

وعلى هذا الاساس فقد اشتهرت في تجارة العصور الوسطى وثائق الجنيزا القاهرية Geniza<sup>(106)</sup> التي كتبت بين (345-663هـ/965-1265م) وكشفت لنا عن معلومات وفيرة فيما يتعلق بتجارة الهند وكانت اغلبها عبارة عن خطابات موجهة من التجار الى اهاليهم في مصر والهند واليمن، وقد كتبت بأيدي تجار من بلدان مختلفة<sup>(107)</sup> . ومما يجعلنا نعتقد بوجود صلة قوية بين وثائق الجنيزا ومصطلح الكارم منذ ظهوره قديما وحتى اضمحلاله نهاية العصور الوسطى الاسلامية هو ان هذه الوثائق كتبت ايضا في اماكن عديدة خارج مصر لا سيما العراق واليمن والهند وبعضها جاء بآراء شرعية من اليهود القاطنين في تلك المناطق<sup>(108)</sup> .

وعلى أية حال فقد وجد في هذه الوثائق ما يدل على سيطرة تجار الكارم على جميع الانشطة التجارية في مصر والهند لأكثر من ثلاثة قرون فنلاحظ التاجر الكارمي وهو في الهند يكتب لأسرته في مصر ويخبرهم بأنه سيجلب لهم سلعا وبضائع نادرة ما في الكارم مثلها<sup>(109)</sup> دلالة على تحقيق استقلالهم تحت نفوذ دولة المالك فأعطوا شكلا بارزا للحياة السياسية والاقتصادية في مصر المملوكية<sup>(110)</sup> . ومما يدل على حجم تجارتهم ما ذكره ابن جبير عن احمال الفلفل في عيذاب والتي توازي التراب قيمة لكثرتها<sup>(111)</sup> . ولم تقتصر تجارتهم على جلب التوابل فحسب، بل شملت المنسوجات والاحشاب والعطور ومواد اخرى متنوعة<sup>(112)</sup> .

وعندما ادرك السلاطين المماليك دور تجار الكارمية في تنشيط الروابط بين مصر ومناطق متعددة من الدول لا سيما الهند من خلال نقلهم لآخبار تلك الدول التي مروا بها اثناء تجارتهم<sup>(113)</sup> قاموا بتخصيص الاساطيل البحرية لحمايتهم من قطاع الطرق في الثغور والموانئ<sup>(114)</sup> . كما انشأت لهم مراكز يجتمعون بها لحل مشاكلهم وتصفية عقودهم التجارية في مختلف المدن التجارية في مصر، ومن ابرزها فندق الكارم<sup>(115)</sup> وسقيفة ابن العجان المطلة على النيل<sup>(116)</sup> . كما كان لهم رئيس يسمى شهبندر التجار او الصدر الذي كان ينتخب من بين اغنى التجار واکرمهم خلقاً، وقد اهتمت المصادر بذكر رؤساء التجار الكارمية بمختلف جنسياتهم وعددت مآثرهم الجليلة<sup>(117)</sup> . وكانت ارباحهم كبيرة بالمقارنة مع ارباح التجار العاديين في تلك المدة فإذا قرأنا نصاً واحداً من نصوص وثائق الجنيذا سنحكم على ان ارباحهم كانت خيالية او عالية<sup>(118)</sup> ، وليس ادل على ذلك ما جباه ناظر جدة من سفن الكارم خلال سنة واحدة وقدر بسبعين الف دينار، او مساهمتهم في حل الازمات السياسية والاقتصادية التي تعرضت لها دولة المماليك في اوقات الحروب والنكسات<sup>(119)</sup>، بل حتى انهم قدموا الهدايا الثمينة الى السلاطين ووثقوا علاقتهم مع سلاطين مصر والهند وصاروا طبقة مستقلة بذاتها<sup>(120)</sup> وبناء على ذلك فقد خصص المماليك لهم ناظراً خاصاً يدعى (مستوفي البهار والكارمي) يهتم بتحصيل ما يصل من التوابل والبضائع الاخرى التي يجلبها التجار الكارميون<sup>(121)</sup> .

لقد احصت المصادر ما يقرب من مائتي شخصية من تجار الكارم ومن اسر مختلفة كالسوملي والكويك والدمامي والخروبي<sup>(122)</sup> وغيرها وكانت تجارتهم وراثية إذ يتعلم الابن الاصول التجارية من خلال تجواله مع والده ثم يبدأ بإدارة اعماله ويصبح تاجراً محترفاً<sup>(123)</sup> .

### ومن هؤلاء التجار :

1. ابن العدل رضي الدين المصري الواسطي التاجر السفار ، ولد سنة 593هـ/1196م وسمع صحيح مسلم ونشر علمه وفقهه في مصر ودمشق وعدن وخلف اموالاً عظيمة بالاسكندرية، توفي سنة 664هـ/1265م<sup>(124)</sup> .
2. التاجر الكبير ابو سويد التكريتي، ذو الاموال الكثيرة وكان محترماً لدى السلطان الظاهر بيبرس إذ كان يجله ويكرمه لأنه قد ازدى اليه جميلاً قبل ان يتولى السلطنة، وكان كثير البر والصدقات، توفي سنة 670هـ/1271م<sup>(125)</sup> .
3. التاجر الاسكندري عز الدين بن عبد العزيز بن منصور ، كان ابوه يهودياً ثم اسلم فسافر وعبر الهند وقدم مصر ببضاعة قيمتها اربعمائة الف دينار وكان له بر وصدقات، وكان سفاراً ورحالاً وسبق ابن بطوطة في زيارة الهند بخمسين سنة، توفي سنة 713هـ/1313م<sup>(126)</sup> .

4. التاجر نجم الدين عبد الرحيم بن القاسم الرحبي، باني التربة المشهورة المزة والتي جعل لها مسجدا واولقافا وكان مرضيا عند السلاطين والامراء جميعهم ، توفي سنة 1375هـ/1373م<sup>(127)</sup> .

5. محمد بن مسلم بن احمد الباليسي ، كان ابوه حمالا ثم كثر ماله فصار من كبار التجار في مصر ، يرحل عاملوه الى الهند والحبشة والتكرور ويجلبون له الارباح الكثيرة حتى فاقت شهرته ومكانته المالية والتجارية حدود الدولة المملوكية ، ويتضح ذلك مما قالته عدد من المصادر عنه من انه كان اعظم تجار الكارم مالا ولم يعرف احد في مصر اكثر منه مالا وكان اجماع الناس على ذلك حتى قال تجار الهند : "ليس في بلادنا من هو اكثر مالا منه غير تاجر كافر يقاربه بالمال" ، توفي سنة 776هـ/1374م وورثه ابنائه فكانت حصة الذكر منهم مائتا الف دينار<sup>(128)</sup>.

6. التاجر علي بن عبد العزيز بن احمد بن محمد بن علي المتقي الصلاح المصري ، ويعرف بالخروبي وهو من اعيان التجار بمصر، حج مرات عديدة وكان ذا مروءة وشهامة، توفي سنة 802هـ/1401م<sup>(129)</sup> .

7. التاجر محمود بن محمد بن قطب، احد تجار الهند وكان سفيرا لسلطان كلبركة الى البلاد العربية الاسلامية ، توفي في مكة سنة 830هـ/1426م<sup>(130)</sup> .

8. التاجر ابو القسم بن محمد بن علي المصري الاصل، استقر في مكة وورث التجارة عن ابيه الذي خلف اموالا كثيرة ونماها في التجارة الكارمية وتركها لابنيه بع موته ، توفي سنة 840هـ/1436م<sup>(131)</sup> .

9. التاجر بن رواحة، عرف بغناه الواسع وتجارته الكبيرة وكان يملك خزانة للسلاح ، وكان يستطيع تجهيز مائة جندي<sup>(132)</sup> .

10. التاجر محمود بن احمد الخواجا الكمال الكيالي، يقال له ملك التجار ، لقي ابن حجر العسقلاني في القاهرة سنة 843هـ/1439م واخذ عنه ثم زار كلبركة من بلاد الهند واختص بها وثبت<sup>(133)</sup>.

11. حسن بن ابراهيم البدر بن البرهان المناوي الاصل القاهري ، التاجر بن التاجر ، ويعرف بابن عليبة (مصغر عليبة) ، حفظ القرآن الكريم واقل على التجارة وكان حاذقا فيها، توفي سنة 889هـ/1484م في بولاق<sup>(134)</sup>.

12. علي بن عبد الرحمن النضاري، احد تجار الكارم اليمنيين، وكان له مال متكاثر وعدة سفن تجري في بحر الهند وتأتيه بأصناف البضائع الهندية، وكانت له دائرة متسعة جدا من التجار ، وذا احسان الى الناس، توفي سنة 966هـ/1558م<sup>(135)</sup> .

## عوامل ضعف التجارة المصرية الهندية :

وصلت عن طريق البحر الاحمر والمحيط الهندي البضائع النادرة الى مصر من الهند، وتهافت الاوربيون على شرائها. فأصبحت مصر مركزا تجاريا عظيما وقد قال احد المستشرقين في ذلك: "إن من له السيادة على القاهرة يمكنه ان يسمي نفسه ايضا رب العالم المسيحي، وسيد ورب جميع الجزر والبلاد التي تنتج التوابل فلا يمكن استيرادها وبيعها إلا من بلد السلطان لأن القاهرة تتمتع بموقع متميز ... لذلك ينبغي ان نكون في علاقات جيدة مع السلطان اذا اردنا ان نبيع ونشتري او اردنا الذهاب الى المقدس للحج"<sup>(136)</sup>.

وكان لابد لهذه التجارة ان تجعل من مدن مصر التجارية مدنا عظيمة ذات سمعة عالية وتجعل اسواقها من احسن وابهى ما يراه المرء إذ تجد فيها كميات هائلة من البضائع الهندية لاسيما التوابل<sup>(137)</sup>.

لقد كان دور السلع يوازي في اهميته دور الافكار والمبادئ، فوجدت طبقة من التجار والعامّة من اهل مصر قدرا من الراحة والاطمئنان في الحياة . ومن هذا المعنى استطاعت القاهرة ان تنعم بمستوى مرتفع من المعيشة<sup>(138)</sup>. وبالمقابل كان لتشجيع سلاطين الهند الاسلامية للتجارة مع مصر اثره في جعل موانئ الهند لا سيما كوجرات ومليبار، تحصل على ثراء كبير مكنها من الدفاع عن موقعها ومكانتها<sup>(139)</sup>. ولكن سرعان ما انتكست تجارة المماليك العظيمة جراء سياسة عدد من السلاطين الذين احتاجوا الى الاموال الكثيرة لتأمين حياتهم ودولتهم فغرتهم الارباح الكبيرة لتجارة الهند فطبّقوا نظاما احتكاريا قاسيا على البضائع الهندية وسوغوا سياستهم هذه بدعوى من مرور البلاد بأزمات سياسية وحالات من المجاعة والقحط مما ادى الى غلاء اسعار المواد والبضائع<sup>(140)</sup>. ففي سنة 832هـ/1428م اصدر السلطان الاشرف برسباي مرسوما الى الثغور كافة يأمرهم بأن لا ينصب قبان لوزن بضاعة ما لأحد من التجار ومنعه من البيع والشراء في البهار وجعلها حكرا له، والزم تجار اوربا بالشراء بالسعر الذي يحدده هو فكان ان جعل الحمل من التوابل يباع بمائة وعشرين دينارا بعد كان يباع بثمانين دينارا<sup>(141)</sup>. وبهذا كرس السلطان برسباي جل اهتمامه على تجارة الهند واستخلص منها اربحا جديدة واضافية<sup>(142)</sup>. ويبدو ان السلطان برسباي لم يكن مقتنعا بما تجبّيه بلاده من ضرائب التجارة الهندية ولذلك فقد بحث عن مصدر جديد اخر جعله يصبح فيما بعد السلطان الوحيد الذي يملك اموالا كثيرة ، وفعل ذلك لما لم يجد موردا اخر يفرض عليه نوعا من الضرائب ، فلم يفرض مثلا شيئا على القطاع الزراعي او الصناعي في دولته، وربما فعل ذلك ليدخل التاريخ كأغنى سلطان في الدولة المملوكية<sup>(143)</sup>.

وقد جاءت سياسة الاحتكار هذه وقت كانت فيه احوال الناس والعامّة بديار مصر والشام متدنية لقلّة مكاسبهم ، وقد شمل الخراب الكثير من مدن مصر واريافها وبلغ من شدة فقرهم انهم كانوا يبيعون بالغلال والمواد الاخرى سلعة بسلعة (العودة الى نظام المقايضة) وذلك لعدم وجود الذهب والفضة والاموال التي احتكرها السلطان<sup>(144)</sup>. وفي الواقع مثلت هذه السياسة الاحتكارية ردة حضارة الى الوراء فاضطربت احوال الناس خلاف ما اعتادوا عليه من طبيعية كريمة بعد حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون حيث الاوضاع الاقتصادية المزدهرة<sup>(145)</sup>.

ومن جانب اخر لم تكن السفن الهندية او الاوربية مستعدة باي حال من الاحوال لقبول اية ضريبة جديدة تفرض عليها اذ كانت مثقلة بما فيه الكفاية بالضرائب ، والحقيقة ان تلك السفن كانت تمر ببهار بعضها يخضع لدولة الممالك فتتبعوها بالضرائب من ميناء لميناء ومن سوق لسوق حتى اصبح ما يجبي منها اضعاف ثمن البضاعة الاصلي ، وهكذا تمادى للممالك في تطبيق هذه السياسة الاحتكارية والتشديد فيها حتى بلغ السلطان في سنة 839هـ/1435م ان جماعة من التجار نقلوا فلفلاً من دون علمه الى دمشق ، فانزعج وامر باستدعائهم ومعاقبتهم<sup>(146)</sup> . وعندما لاحظ تكدس البضائع الهندية في بلاده من دون ان يشتريها احد من التجار الاجانب قرر خفض السعر قليلا ولكن ذلك لم ينفع فاتخذ اجراءات لارغامهم على الشراء<sup>(147)</sup> فعاد الى تخفيض السعر مجددا وحسن من معاملته للتجار وكان ذلك طبيعياً لتمهيد سياسته الجديدة التي لم تمنع التجار الاوربيين من قطع علاقاتهم التجارية مع دولة الممالك ، فارسلت البندقية على اثر ذلك سفينة لجمع تجارها كافة من الاسكندرية بعدما فشلت المساعي القنصلية<sup>(148)</sup>.

وبعدما رفع السلطان برسباي عشور التجارة الهندية من الثلث الى النصف جاء من بعده السلطان جقمق (842-857هـ/1438-1453م) وجعل ثلاثة ارباع العشور خالصة له مما اضعف التجارة وعسف بالتجارة والناس معا<sup>(149)</sup> ، ثم جاء السلطان قيتباي في سنة 873هـ / 1468م فتمادى بسياسة الاحتكار فاصدر مرسومين تعلق الاول بالتدخل بارباح تجارة مكة الخارجية<sup>(150)</sup> وتعلق الثاني حول تسعير التوابل السلطانية حيث جعل الحمل منها بمائة وعشرة دوكات بندقية ، فحتم على البنادقة بالشراء ، ولما رفضوا حبسهم بفندقهم يومين ثم امر السلطات باخلاء سبيلهم بعد ان يدفعوا له مبلغ مائة دوك للحمل الواحد وكان ذلك سنة 884هـ / 1480م ، وذكر التجار انهم يلاقون المصير نفسه في كل سنة . هذا ولم تكن اسعار التوابل مصدر شكوى التجار وحدها فحسب بل ترددت الشكوى حول رداءة التوابل وغشها حتى ارسل السلطان الى دوق البندقية برسالة يظهر اهتمامه البالغ بنقاء التوابل السلطانية من الغش<sup>(151)</sup>.

ومن جانب اخر لم يستثن تجار الكارم من سياسة الاحتكار التي مارسها السلاطين المماليك على تجارة الهند ، ففي سنة 833 هـ / 1429 م جمع السلطان الاشرف برسباي تجار الكارم من الثغور والموانيء جميعها واخذ منهم عهدا بان لا يبيع احد شيء من التوابل الى تجار اوربا وهدد بالعقوبات الصارمة اذا لم يمتثلوا لذلك ، فاقصر عملهم على جمع التوابل وتسليمها في خزانة السلطان <sup>(152)</sup> فاحجم ذلك من نشاطهم باستثناء عدد ممن وثق فيهم السلطان وسخرهم بالمتاجرة لهم <sup>(153)</sup> . ولاشك ان هؤلاء التجار كان لهم دور في عمارة البلاد وتقديمها فكان من المفروض ان يترفع السلطان عن مزاحمتهم في المتاجر والا يضيق عليهم <sup>(154)</sup> كما حذر عدد من المؤرخين من خطر تعسف السلطان في جباية الضرائب الامر الذي يؤدي الى خراب البلاد وفساد الرعية <sup>(155)</sup> .

وعلى اية حال فقد تضاءلت مكانتهم وترعزت مصالحهم ، الا ان افرادها بقوا مرتبطين بعضهم ببعض فاصبحوا تجارا عاديين اذ لا نسمع لهم ذكر في المصادر بعد سنة 889 هـ / 1484 م فكان اخر تاجرين ذكرهما ابن تغري بردي هما : علي بن محمد القليوبي وعلي بن بدر الدين حسن بن عليبة الذي توفي سنة 897 هـ / 1492 م <sup>(156)</sup> : في حين كان عدد منهم قد حاول التعامل سرا مع الاجانب وهربوا بالبضائع والتوابل الى اوربا ، ولما اشتدت الرقابة عليهم هجروا مصر الى الاماكن الاخرى مثل الحجاز والبحر الاحمر ومارسوا تجارة متواضعة نسبيا فيها <sup>(157)</sup> .

كما كان لكشف البرتغاليين لراس الرجاء الصالح سنة 893 هـ / 1487 م ثم وصول فاسكو دي كاما الى سواحل الهند في كاليكوت سنة 904 هـ / 1498 م من ابرز الحوادث التي اضررت بالتجارة المصرية الهندية والتي اسدلت بها ستائر العصور الوسطى ؛ وحال دخول البرتغاليين الى المياه الهندية غدت اطماعهم اشد ضراوة فاعلن دي كاما Da Cama انه احق بالسيادة على المحيط الهندي فاغلق الابحار بوجه السفن المصرية والاسلامية ومنعهم من اداء التجارة في المحيط الهندي <sup>(158)</sup> .

وقد كانت محاولة البرتغاليين بمثابة ثورة كبرى في عالم التجارة الدولية ، ومبعث رعب كل من القاهرة ودلهي والمماليك الايطالية وصارت مقاومة هذه المحاولة عبئا ثقيلا وقع على عاتق العثمانيين فيما بعد <sup>(159)</sup> . وقد بدأ البرتغاليون بتنفيذ مخططهم عندما اغرقوا سفن التجارة المصرية في ميناء كاليكوت سنة 907 هـ / 1506 م وبضمنها سفينة خاصة للسلطان قانصوه الغوري محملة بالتوابل .

وهكذا اخذ البرتغاليون يفرضون سياسة الحصار الاقتصادي على السفن المصرية والاسلامية من الاتجاه نحو السواحل الهندية وادى هذا الحال الى اشتداد الازمة المالية وافقار

مصر وخراب موانئها فتعطل ميناء الاسكندرية وعلى اثره تعطلت الدواوين التجارية<sup>(160)</sup> بسبب عبث البرتغاليين وتهديداتهم ، وبعد موقعة ديو الفاصلة سنة 908هـ / 1509م كانت اسواق القاهرة والاسكندرية قد افقرت تماما من التجارة الهندية وفقدت مصر كل ما يدخل بخزانتها من مكوس هذه التجارة مما دفع السلطات الى فرض الضرائب الباهظة على الناس والعامّة الذين اشتد غيظهم وسخطهم على حين كانت البلاد بحاجة الى مزيد من الجهود والاموال لصد خطر العثمانيين الزاحفين نحو مصر ، فلا غرابة ان سقطت البلاد فريسة لهم بعد معركة ديو بتسع سنوات<sup>(161)</sup>.

### الخلاصة :

1. أظهرت الدراسة عمق الصلات بين مصر والهند، الا ان اميزها كان خلال العصور التي أشرها البحث، بفضل الرعاية والتسهيلات الكثيرة التي أبداهها المصريون والهنود إزاء التجارة بينهما.
2. كانت صادرات بلاد الهند ، أضعاف مثيلاتها المصرية ، إلا أنها غالبا ما كانت تلبّي حاجات الموسرين من الناس بخاصة، في حين كانت صادرات مصر ذات طبيعة ضرورية للناس بعامّة.
3. رافقت العلاقات التجارية ، تأثيرات مختلفة متبادلة ، أدى خلالها تجار الكارم دورا إنسانيا مميزا.
4. كان التغلغل الأوربي في المنطقة، وتغير طرق الملاحة الدولية، عاملا بارزا من عوامل ضعف وتدهور العلاقة التجارية بين مصر والهند .

## الهوامش:

- (1) البحث مسئل من رسالة الماجستير الموسومة (العلاقات المصرية الهندية (648-1250/923-1517م) للطالب ياسر عبد الجواد المشهداني وبإشراف د. حسين علي الطحطوح والتي نالت درجة الامتياز من جامعة الموصل قسم التاريخ (الموصل -2000م).
- (2) انطوان خليل ضوكت : الدولة المملوكية ، التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي ، دار الحديث (بيروت -1980) ص180-181 .
- (3) بيتر فلكا : لماذا تخلف الشرق، مجلة فكر وفن، ع4 ، (المانيا -1984) ، ص5.
- (4) وذلك في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي الذي طهر السواحل المصرية في عيذاب من خطر قطاع الطرق ينظر : جمال الدين محمد بن واصل : مفرج الكروب في مناقب بني ايوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، المطبعة الاميرية ، (القاهرة -1957) ، ج2 ، ص128 ، شهاب الدين عبد الرحمن ابو شامة : الروضتين في اخبار الدولتين ، دار الجيل ، (بيروت -لات) ، ج2 ، ص240 .
- (5) نقي الدين ابي العباس احمد بن علي المقرئ : السلوك لمعرفة دول الممالك ، تصحيح محمد مصطفى زيادة ، ط1 ، المطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة -1958) ، ج2 ، ق3 ، ص705 .
- (6) لقد كانت الملاحة في النيل مهمة وسريعة في العصور الوسطى الاسلامية على نحو غير اعتيادي ولـ تكن الامدادات والبضائع تأتي الى القاهرة الا عن طريق الملاحة النيلية التي كانت دائمة نشطة . ينظر جاستوف فييت : القاهرة مدينة الفن والتجارة ، ترجمة مصطفى العبادي ، مؤسسة فرنكان للطباعة والنشر ، (بيروت -نيويورك -1968) ، ص102.
- (7) توفيق سلطان اليوزيكي : تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، مؤسسة دار الكتب، (الموصل -1975) ، ص68.
- (8) المرجع نفسه ، ص69.
- (9) المقرئ ، السلوك ... ، ج1، ص563، 581، 621؛ علي بن الحسين الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تصحيح محمد بسيوني ، مطبعة الهلال ، (القاهرة -1914) ، ج2، ص182.
- (10) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، تصحيح بولس راويس ، المطبعة الجمهورية ، (باريس -1894م) ، ص16.
- (11) J.J Saunders : A history of Medieval Islam , (London -1980) , P.166
- (12) حياة ناصر الحجي : العلاقات بين دولة المماليك والممالك الاسبانية ، مؤسسة الصباح (الكويت -1980) ، ص2.

- (13) الظاهري ، المصدر السابق ، ص41.
- (14) احمد علي القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تحقيق ، محمد حسين شمس الدين دار الكتب ، (بيروت -1987) ، ج11، ص421.
- (15) ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن ابن الفرات : تاريخ الدول والمملوك ، تحقيق : قسطنطين رزيق المطبعة الامريكانية (القاهرة -1942) ، ج8، ص65.
- (16) القلقشندي ، صبح الاعشى ... ، ج13 ، ص340-341.
- (17) الحجي ، المرجع السابق ، ص38.
- (18) القلقشندي ، صبح الاعشى ... ، ج6، ص158.
- (19) ومن امثلة مراسلات السلاطين الى التجار : الى عمدة التجار المنقطعين ، قدرة الاكابر المعبرين ، محب الفقراء والمساكين ، كهف الارامل والمنقطعين ، من فاق بحسن سيرته النجوم الزواهر وبجميل طلعتة البدور السوافر وشاع في الخافقين ذكره وثناؤه على الرغم من انف كل مكابر " . ينظر : مرعي الشيخ حماد الحنبلي : بديع الانشاءات والصفات والمكاتبات والمراسلات ، مطبعة انستاس الكرمل (القاهرة -1917) ، ص23.
- (20) الفندق هو عدد من الحوانيت ومستودع للبضائع تحيط عادة بفناء واسع او تكون احيانا على هيئة رواق مغطى حيث يحتفظ التجار بسلعهم، ولم يكن في غرب الدولة العربية الاسلامية فنادق للغرباء والتجار حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وإنما كانت اشبه بأسواق يضعون في اسفلها بضائعهم وينامون في اعلاها . ينظر :ممتاز الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريده ، دار الكاتب العربي (بيروت-1967) ، ج2 ، ص284 .
- (21) ضومط ، المرجع السابق ، ص207.
- (22) ابراهيم بن محمد بن ايدمر العلاني بن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الامصار ، مطبعة بولاق (القاهرة -1893)، ص90.
- (23) نسبة الى جهاركس الخليلي احد امراء السلطان برقوق ، بناه في موضع كان مقبرة للخلفاء الفاطميين فأخرج عظام الاموات ورتب الموقع وبنى الخان . ينظر: المقريزي : الخطط ، دار صادر (بيروت -لات) ، ج2 ، ص94 .
- (24) المقريزي ، الخطط ، ج2، ص121.
- (25) شارل مورتيل : الاحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العهد المملوكي ، جامعة الملك سعود، (الرياض -1985) ، ص84 .
- (26) المرجع نفسه ، ص84.
- (27) ابن واصل ، المصدر نفسه ، ج2، ص473.
- (28) S.L . Poole :Histor of Egypt in Middle ages (Holland -1968) p,9312

- (29) احمد بن يوسف القرماني : أخبار الدول في آثار الأول ، مطبعة عالم الكتب ، (بيروت . لات) ص203 ؛ والإرب مكيال مصري للحنطة والشعير وهو يساوي 73.125 كغم حنطة و56 كغم شعير ، ينظر : فالتر هينيز : المكيال والأوزان وما يعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية (عمان . 1970) ، ص58 .
- (30) ابن العماد أبو فلاح الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مكتبة القدس ، (القاهرة . 1947) ، ج7 ، ص6 .
- (31) المصدر نفسه ، ج7 ، ص307 .
- (32) شهاب الدين علي العسقلاني ابن حجر : أنباء العمر بأبناء العمر ، مطبعة المعارف العثمانية ، (حيدر آباد . 1972) ، ج8 ، ص147 .
- (33) كمثال على ذلك فقد كتب السلطان الأشرف برسباي سنة 837هـ/1434م إلى الأمير سودون المعمدي ناظر مكة أن لا يؤخذ من تجار الهند سوى العشر وأن لا يؤخذ من تجار مصر التجار الشاميين العشرين ، إذا وردوا ببضائع اليمن وإذا جاء تجار اليمن ببضائع جدة تصادر بضاعتهم كلها ، ذلك بسبب سوء العاملة التي يفرضها حكام اليمن على تجار الهند فتركوا المرور بعدن واتجهوا إلى جدة ولكن حملت عليهم ضريبة العشر ورسوم القبان مما دفعهم إلى التذمر من المكوس العالية فخاطبوا رجال العلم والدين في مصر من أجل إصدار الفتاوى بجواز أخذ العشر وإنفاقها في المصالح وقرئت الفتاوى في مواسم الحج ، ينظر : علي بن داود الخطيب ، الجوهري الصيرفي : نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان ، تحقيق حسين حبشي ، مطبعة دار الكتب ، (القاهرة . 1973) ج3 ، ص303 ، مورتيل : المرجع السابق، ص187.
- (34) A.B.Serjeant: The Portuques in the sooth Arabian coast (Oxford-1963), P.12.
- (35) القلقشندي : صبيح ، ج11 ، ص412 ؛ ابن الفرات ، المصدر السابق ، ج8 ، ص261 .
- (36) ريتشارد جي ولشن : ماركوبولو ، رحلاته واستكشافاته ، ترجمة حسن حسين ألياس ، منشورات دار البصري ، (بغداد . 1979) ، ص112 .
- (37) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن بطوطة ، الرحلة ، دار صادر ، (بيروت . 1964) ، ص187 ، 252 .
- (38) وليد جرادات : الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر ، دار الثقافة ، (الدوحة . 1986) ، ص19 .
- (39) وهي بلدة صغيرة تقع على ساحل البحر الأحمر الغربي ، وهي مرسى للسفن القادمة من الهند والصين وقد اختلف المؤرخون القدامى في أمر ؟؟؟ فقسما منهم ينسبها إلى البجاة ، وهي إحدى نواحي الحبشة وقسم آخر ينسبها إلى حدود مصر وهو الأصح لأنها من أعمال مصر حقيقة ، وصار هذا الميناء مسلكا للتجار والحجاج يمرون به حتى يصلون الصحراء الشرقية كما ؟؟؟؟ بضائع الهند تحمل من عيذاب إلى المحطات التجارية الأخرى حتى سنة 760هـ/1361م إذ غالى

- حكام هذه الأماكن في فرض الضرائب وسوء المعاملة للتجار الذين حالوا التحرر من معاناتهم .  
 ينظر : محمد بن احمد بن جبر ، الصلة ، دار الكتاب اللبناني . المصري ، (بيروت . لات) ،  
 ص 68.67 ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، ص 35 .
- (40) نعيم زكي فهمي : طرق التجارة بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، الهيئة المصرية  
 للكتاب ، (القاهرة . 1970) ، ص 124 .
- (41) تقع على الشاطئ الشرقي للنيل وكانت ملتقى القوافل من بلاد النوبة والحبشة وكانت المركز  
 الرئيسي للتجار القادمين من الهند . ينظر : القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 3 ، ص 341 .
- (42) فهمي ، المرجع السابق ، ص 133 ؛ ضومط ، المرجع السابق ، ص 182 .
- (43) كان هذا الطريق مسلکا للحجاج لمدة 200 سنة ، وكان تجار الهند يردون إلى عيذاب ثم إلى  
 قوص ثم إلى القاهرة غير أنه لم يكن يخلو من صعوبات تعترض الملاحة فيه لاسيما المسافة  
 الكبيرة من الهند إلى البحر الأحمر ومن فيها من تيارات هوائية بحرية فضلا عن كثرة الشعاب  
 المرجانية في البحر الأحمر ، ينظر : المقريزي : الخطط ، ج 1 ، ص 12 ، ولشن ، المرجع  
 السابق ، ص 116 .
- (44) سونيابين هاو : في طلب التوابل ، مكتبة النهضة ، (القاهرة . 1957) ، ص 45 .
- (45) فلكا : المرجع السابق ، ص 6 .
- (46) ظل الأوروبيون على جهل بأوضاع الملاحة في المحيط الهندي والبحر الأحمر لمدة طويلة وكانت  
 معلوماتهم مشوشة ويعوزها الكثير من الدقة ، ينظر : جرادات : المرجع السابق ، ص 80 .
- (47) هي مدينة كبيرة لها أربعة أبواب موزعة على جهاتها ولها أسواق عامرة تعد من أكبر الأسواق في  
 العالم لتصدير التوابل الهندية وكانت تسمى بـ(مخزن العالم) ، وتبعا لأهميتها في التجارة فقد زارها  
 الرحالة ابن بطوطة وأعجب بمرساها الطويل حتى أنه جعلها بنفس مرتبة الموانئ العالمية الأخرى  
 ، وبهذا يمكن القول أن القاهرة كانت مركز الثقل الأساسي في حين كانت الإسكندرية العاصمة  
 التجارية بدون جدال . ينظر : ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 20 ؛ رشيدة بسرور :  
 الإسكندرية في عصر المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشور ، جامعة الآداب ، (تونس . 1986) ،  
 ص 11 .
- (48) إحدى الموانئ المطلة على النيل وتعرض لهجمات من قبل الصليبيين أثناء الحكم الأيوبي لمصر  
 ولكن تمت إعادة بناؤه في العصر المملوكي حيث تنقل البضائع منه إلى منطقة الغرما ثم تحمل  
 على الدواب إلى السويس الذي يقع شرق مصر نهاية البحر الأحمر ثم الحجاز ، وقد أنشأ منه  
 الأيوبيون مرفأ تجاريا ، ينظر : أبي إسحاق إبراهيم بن الأصبخري : المسالك والممالك ، تحقيق  
 محمد جابر العالي ، دار القلم (القاهرة . 1961) ، ص 30 ؛ المقريزي ، الخطط ، ج 1 ، ص 212 .

- (49) فهمي ، المرجع السابق ، ص 141 .
- (50) المرجع نفسه ، ص 143 .
- (51) ازدادت أهمية ميناء جدة في التجارة المصرية الهندية منذ 825هـ/1422م إذ أصبحت السفن التجارية القادمة من الهند تبحر إليها مباشرة دون المرور إلى ميناء عدن وذلك بفضل جرأة تاجر هندي يدعى الناخوذة إبراهيم الذي أبحر داخل البحر الأحمر دون أن يرسي في عدن ، فنزل في جدة ولقي معاملة حسنة من رجال وأمرأ مكة وعندما ازدهر هذا الميناء وراجت تجارته خشيت السلطة المملوكية من أن تقلت من يدها الضرائب والمكوس الكبيرة التي تشكل موردا كبيرا في ميزانيتها فوضعت جدة تحت الإدارة المصرية المباشرة وصار يتوجه إليها أمير مملوكي للجباية . ينظر : مورتيل ، المرجع السابق ، ص 183 .
- (52) اشتهر ذكرها في المصادر التاريخية والجغرافية ، وعلى الرغم من أنها تقع خارج السلطة المملوكية إلا أنها كانت المستودع الرئيسي لتجارة الشرق ومثلت نهاية الخط الملاحي للسفن الهندية ، ولكن أهمية هذا الميناء تلاشت بسبب سوء معاملة حكام اليمن الرسولييين لتجار الهند وفرضهم الضرائب الباهضة ، ينظر : أحمد دراج ، عذاب من الثغور العربية المندرسة ، علم المؤرخ العربي ، ع 7 ، (بغداد . 1987) ، ص 63 .
- (53) أبو المحاسن جمال الدين بن ثغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة ، دار الكتب ، (القاهرة . 1918) ، ج 8 ، ص 152 .
- (54) فهمي : المرجع السابق ، ص 140 .
- (55) ضومط : المرجع السابق ، ص 198 .
- (56) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 5 ، ص 70 ، 73 ؛ ضومط : المرجع السابق ، ص 198 .
- (57) تقع على ساحل مليبار الشهير بإنتاجه لأصناف جيدة من التوابل ، وتمثل السوق التجارية الكبرى للعرب وسيطر عليها العرب بعد أن أقاموا فيها ووسعوا تجارتهم حتى صارت من موانئ الهند المشهورة على الرغم من صغرها ، ينظر : زين الدين المعبري: تحفة المجاهدين في أخبار البرتغاليين ، (لشبونة . 1889) ، ص 26 .
- (58) محمد إسماعيل الندوي : تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ، دار الفتح ، (بيروت . لات) ، ص 164 .
- (59) شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ، (الكويت . 1980) ، ص 211 .
- (60) توفيق إسكندر : نظام المقايضة في تجارة مصر الخارجية في العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، ع 6 ، (القاهرة . 1957) ، ص 3938 .
- (61) المقرئزي : شذور العقود بذكر النقود ، المطبعة الحيدرية ، (النجف . لات) ، ص 3130 .

- (62) المصدر نفسه ، ص 31 .
- (63) هي الودع الذي يستخرج من صدفات البحر وكانت وسيلة للتعامل بالتجارة الداخلية ، ينظر المقريري : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، مطبعة لجنة التأليف والتوزيع والنشر ، (القاهرة . 1940) ، ص 69 .
- (64) المصدر نفسه ، ص 69 .
- (65) محمد بن احمد الحنفي ابن أياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، المطبعة الأميرية ، (القاهرة . 1894) ، ج 2 ، ص 56 .
- (66) التكنة تساوي 80 درهم مصري وكانت العملة السائدة في عهد السلطان محمد تغلقشاه ، ينظر : المقريري ، الخطط ، ج 2 ، ص 174 .
- (67) يذكر أن السفينة الواحدة المخصصة لنقل توابل يمكنها أن تزيد حمولة ، تفوق 3 مرات طاقة نقل ثلاث سفن إيطالية آنذاك ، ينظر : بسرور : المرجع السابق ، ص 206 .
- (68) ولش : المرجع السابق ، ص 20 ؛ اليوزبكي : المرجع السابق ، ص 88 .
- (69) ابن جبير ، المصدر السابق ، ص 6867 .
- (70) علي عبد الحسين المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الأندلس ، (بيروت . 1981) ، ج 1 ، ص 136 .
- (71) عثمان ، المرجع السابق ، ص 92 .
- (72) أرسلت هذه المعلومة مشكورة الدكتورة بسرور (جامعة تونس . 2000) .
- (73) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص 172 .
- (74) كانت هياكل السفن تصنع من خشب الساج وجوز الهند المتين لأنه يكاد يمتنع عن التلف فإذا كان في ماء البحر يبقى 200 سنة وإذا خرج من الماء شرع بالتلف ، ينظر : المسعودي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 124 .
- (75) اليوزبكي ، المرجع السابق ، ص 89 .
- (76) لمزيد من المعلومات عن الطرق البحرية بين سواحل الهند وبلاد العرب ينظر :
- Hussian Ali Tahtoo: Commercial Relations Between the Arab World St. Andrew (U.K.-1986) PP., 97-116.
- (77) حسن إبراهيم حسن : دراسات في تاريخ الممالك البحرية ، (القاهرة . 1948) ، ص 129 .
- (78) ضومط : المرجع السابق ، ص 198 .
- (79) هو شجر ينبت في حصن نابليون في مصر وإن جميع فوائده طبية : هاو : المرجع السابق ، ص 16 .

- (80) شمس الدين أبو عبد الله المقدسي : أحسن التعاليم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، (لندن . 1909) ، ص 474 .
- (81) زكريا بن محمد القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، (بيروت . 1960)، ص 123، المعبري، المصدر السابق، ص 35.
- (82) ميتز ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 274 .
- (83) أجوده النظيف من الدق والتراب والسالم من العفونة ، ومنه الفلفل الأبيض فإنه جنس يخالف الأول في لونه وشكله وهو يدخل في صناعة الأدوية ولا يدخل في صناعة الأغذية وأفضله ما نبل حبه وقلت قشوره . ينظر : أبي فضل جعفر بن علي الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، ط 1 ، مطبعة الغد ، (القاهرة . 1977) ، ص 41 .
- (84) نوع من التوابل خال من العفونة وطري ويستورد من سهول الهند ويأتي بعد الفلفل بحسب الكميات المصدرة منه ، ينظر : الدمشقي ، المصدر نفسه ، ص 42 .
- (85) مادة تدخل في صناعة الأدوية والطيب وهو يستخرج من شجرة سطحية بحرية بأطراف الهند وهو على عدة أصناف واستعماله يسرع الشيب ويمنع الرعاف والصداع ، ينظر : شهاب الدين احمد عبد الوهاب النويري، نهاية الإرب في فنون الأدب، (القاهرة - لات)، ج 12، ص 294، 292.
- (86) نبات يجلب من سفالة الهند له رائحة زكية جدا وهو حار يابس مقو للقلب والكبد وقاطع للغثيان، يدخل في صناعة الأدوية ، ينظر : النويري ، المصدر نفسه ، ج 12 ، ص 4645 .
- (87) هو عروق متشعبة ذات عقد لونها بين السواد والحبرة شبيهة بأصول النوع الكبير من السعد وهي حرفية الطعم وفيها مادة عطرية تجلب من الهند ، ينظر : بسرور ، المرجع السابق ، ص 207 .
- (88) بسرور : المرجع نفسه، ص 207، 211.
- (89) ك . م . بانيكار : أسياذ السيطرة الغربية ، دار المعارف ، (القاهرة . 1962) ، ص 21 .
- (90) المقريزي : الخطط ، ج 2 ، ص 442 .
- (91) المقريزي : السلوك ، ج 2 ، ص 725 ، والرطل = 437.2076 كغم ، ينظر هنتر ، المرجع السابق ، ص 31 .
- (92) بانيكار، المرجع السابق ، ص 21 .
- (93) العود خشب شجر طيب الرائحة وهو معروف بالتجارة والطب والصيدلة ، ينظر : الدمشقي ، المصدر السابق ، ص 38 .
- (94) النويري ، المصدر السابق ، ج 12 ، ص 2625 .
- (95) مادة تؤخذ من غزلان يوجد في التبت وجزيرة سيلان ومسك التبت أطيب أنواع المسك وأجوده رائحة ، ينظر : الدمشقي ، المصدر السابق ، ص 36 .

- (96) وهو مادة صلبة شهباء اللون تشبه الشمع إذا سخنت خرجت منها رائحة طيبة ويرى البعض أنها مادة بحرية تستخرج من الحوت وهي مادة نباتية ، ينظر : الدمشقي ، المصدر نفسه ، ص 37 .
- (97) النويري ، المصدر نفسه ، ج 12 ، ص 16 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج 2 ، ص 128 .
- (98) على الرغم من أن هناك مناطق عربية تشتهر بصناعة السيوف كالمشرقية ، واليمانية ، إلا أن الهند اشتهرت بصناعة أنواع متميزة منها حتى اكتسبت بعضها صيغة (السيف المهند) ولا يعرف بالضبط متى استقدم العرب سيوف الهند ولكنها اشتهرت أيضا لدى عدد من الشعراء كالفرزدق مثلا . ينظر : Tahtoo : op.cit., P., 186-189 .
- (99) حسن حبشي : رحلة طاغور في عالم القرن 15 ، دار المعارف ، (القاهرة . 1968) ، ص 78 .
- (100) الدمشقي ، المصدر السابق ، ص 31 .
- (101) عبد الوهاب عزام : مجالس السلطان الغوري ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، (القاهرة . 1941) ، ص 14 .
- (102) القزويني : المصدر السابق ، ص 128 .
- (103) منهم من نسبها إلى دولة الكانم في السودان الغربي التي تقع بين بعد الغزال وبحيرة تشاد وسكانها من العرب ويدعون النسب العربي وكانت لهم علاقات طيبة مع الممالك . ولقي هذا الرأي دعم أغلبية المؤرخين العرب في حين لم يحظ بقبول عدد من المستشرقين الذين أنكروا وقوع تصحيف بالاسم . ينظر : القلقشندي : ضوء الصبح المسفر وحنى الدوح المثمر ، مطبعة الواعظ ، (القاهرة . 1906) ، ص 253 ؛
- W.G. Fischel: The Spice Trade in Aamluk Egypt. J.E.S.H.O, Vol. I, 1960, P., 158.
- وهناك من نسبها إلى لغة أهل التاميل جنوب الهند حيث وجدت كلمة كاريام وتعنى الأعمال ، وربما لأن أعمال تلك المناطق كانت تجارية على الأغلب . ينظر : س. د. جواتين : دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، دار القلم ، (بيروت . 1980) ، ص 290 ؛ S. Labib: "Karim", El2, Vol., 4, P., 40 .
- وقسم قال أن الاسم مأخوذ من عدد من أنواع المنتجات الهندية وهي كورا ديمارهي الحبهان أو الهيل ينظر : صبحي لبيب ، التجارة الكارمية وتجارة مصر في القرون الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، م 4 ، (القاهرة . 1952) ، ص 6 .
- (104) أبي بكر بن عبد الله إيبك الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرور ، دار إحياء الكتب ، (القاهرة . 1972) ، ج 7 ، ص 71 ؛
- S. D. Goitein: A Mediterranean Society, (Los Anglos-1967), Vol. I, P., 142.
- (105) محمد كريم إبراهيم : العلاقات التجارية بين عدن والهند ت 7.6 هـ ، مجلة المؤرخ العربي ، ع 33 سنة 1987 ، ص 225 .

(106) هي مجموعة من الأوراق وجدت في معبد في الفسطاط احتوت على معلومات سياسية واجتماعية عن العصور الوسطى وبموجب تعاليم اليهود فإن الورقة التي يكتب فيها اسم الرب يجب أن تحتفظ في حجرة في جدار المعبد . ينظر :

Goitien: From Mediterranean to India, documents India Trade-South Arabia and East African coast from 11-12. Specvium, Vol., 39, P., 181.

(107) وجدت أكثر من 300 وثيقة متعلقة بتجارة الهند وهي موزعة في جامعات العالم ينظر :  
Goitien: Ibid, P. 9-10.

(108) جواتين : دراسات ، ص 193 .

(109) Goitien: new light of beginning of Karimi Merchants, J.E.S.H.O, Vol, I, 1959, P., 180.

(110) Ibid, P., 180-181.

(111) ابن جبير ، الرحلة ، ص 193 .

(112) Fischel: op.cit, p., 160-161.

(113) المفضل بن أبي الفضائل : النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد (باريس . 1928) ، ص 50 .

(114) المقرئزي : السلوك ، ج 1 ، ص 158 .

(115) وهو في الإسكندرية وألحق به جامعا وخانا والجدير بالذكر أن أول من بنى فندقا للكارم هو الأمير تقي الدين عمر بن عم صلاح الدين ، ينظر : ابن دقماق ، المصدر السابق ، ص 40 .

(116) المصدر نفسه ، ص 50 .

(117) ومن رؤساء الكارمية : عمر بن محمد الدماميني (ت 707هـ/1307م) ، والصدر عز الدين الكولحي (713هـ/1331م) والصدر برهان الدين المحلي (806هـ/1403م) ينظر المقرئزي: السلوك ، ج 2 ، ص 340 ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج 4 ، ص 219 ؛ ابن تغري بردي ، المصدر السابق ، ج 9 ، ص 289 .

(118) E. Ashtor: Studies on the learning trade in middle age (london-1976), P.250.

(119) على سبيل المثال قرضهم للسلطان للناصر محمد في حربه ضد المغول 711هـ/1311م، قرضهم للسلطان برقوق مليون درهم في حربة ضد تيمورلنك ومساعدتهم لقاتباي بأربعين ألف دينار في حملته ضد العثمانيين ، فضلا عن افتدائهم للأسرى المسلمين أثناء الحرب الصليبية، ينظر : المقرئزي ، السلوك ، ج 2 ، ص 103 ؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ج 10 ، ص 271 ؛ ابن أياس ، ج 1 ، ص 302 ؛ ابن جبير ، الرحلة ، ص 215 .

(120) الخزرجي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 139 .

(121) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 4 ، ص 33 ، ضوء الصبح ، ص 253 .

- (122) الخروبي : نسبة إلى الخروبة منطقة تقع بين العريش ورفح وهي من محطات البريد. ينظر : المقرئزي ، ج2 ، ص3 .
- (123) Ashtor: A social and economic history of near east in the middle ages, (London-1976), P.300.
- (124) ابن تغري بردي : المصدر السابق ، ج7 ، ص221، الحنبلي، شذرات...، ج5، ص315.
- (125) أبو الفدا ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، ط1 ، دار ابن كثير ، (بيروت . 1966) ، ج13، ص262 .
- (126) المقرئزي ، السلوك ، ج2 ، ص33 .
- (127) ابن كثير : المصدر السابق، ج14 ، ص171 .
- (128) ابن حجر : انباء... ، ج6 ، ص9 ؛ لبيب : المرجع السابق ، ص3130 .
- (129) عبد الرحمن السخاوي : الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، مكتبة الحياة ، (بيروت . لات) ، ج5 ، ص240 .
- (130) المصدر نفسه : ج10 ، ص147 .
- (131) المصدر نفسه : ج11 ، ص137 .
- (132) بسرور : المرجع السابق ، ص12 .
- (133) السخاوي ، الضوء ، ج10 ، ص144 .
- (134) المصدر نفسه ، ج3 ، ص90 .
- (135) قطب الدين النهروالي:البرق اليماني في الفتح العثماني،دار اليمامة،(الرياض-1967)، ص131 .
- (136) فيت : المرجع السابق ، ص101 .
- (137) حبشي : المرجع السابق ، ص97 .
- (138) فيت : المرجع السابق ، ص108 .
- (139) Sarjeant: op.cit., P., 12.
- (140) على سبيل المثال طاعون مصر 749هـ/1349م وغلاء الأسعار زمن الأشرف شعبان 776هـ/1376م ينظر : جلال الدين السيوطي : تاريخ الخلفاء ، مطبعة السعادة، (القاهرة . 1952) ، ص500، القرمانى، المصدر السابق، ص305.
- (141) الصيرفي : المصدر السابق ، ج3 ، ص145 ؛ والحمل يساوي 500 رطل أي 225كغم وهو مقدار ما يحمله البعير من الفلفل . ينظر : هنتز : المرجع السابق ، ص27 .
- (142) Poole: op.cit, P., 339.
- (143) عن الأمراء والولاطين الذين تركوا ثروات كبيرة ينظر : المقرئزي : الخطط ، ج2 ، ص404 ، ابن أياس ، ج1 ، ص50 .

- (144) المقرئزي : السلوك ، ج4 ، ص705 .
- (145) الحجي : المرجع السابق ، ص331 .
- (146) الصيرفي : المصدر السابق ، ج3 ، ص338 .
- (147) الصيرفي : المصدر نفسه، ج3 ، ص35، ابن حجر، انباء...، ج1، ص348.
- (148) لبيب : المرجع السابق ، ص45 .
- (149) مورتيل : المرجع السابق ، ص187 .
- (150) أصدر هذا المرسوم سنة 881هـ/1477م أذن لشريف مكة أخذ مبلغ ألف دينار أشرفي من تركة التاجر الذي يموت بمكة دون أن يرثه أحد أما ما زاد عن الألف فيرسل إلى خزانة السلطان بالقاهرة ، ينظر مورتيل ، المرجع السابق، ص186 .
- (151) فهمي ، المرجع السابق ، ص186 .
- (152) الصيرفي : المصدر السابق ، ج3 ، ص185 ، 337 .
- (153) فمثلا أعطى السلطان برسباي مبلغ 60 ألف دينار إلى كبير التجار نور الدين الطنبذي ليتجر له فيها فعسف على الناس وغالى في احتكاره للفلل ، ينظر : ابن حجر : أنباء ، ج8 ، ص169 .
- (154) الدمشقي : المصدر السابق ، ص61 .
- (155) عبد الرحمن بن خلدون : العبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، (بيروت . 1959)، ج1، ص224 .
- (156) الصيرفي : المصدر السابق ، ج3 ، ص337 ؛ Labib: op.cit. P., 643
- (157) فهمي : المرجع السابق ، ص13 ؛ بسرور : المرجع السابق ، ص74 .
- (158) G. Freeman: The East African coast, (Oxford-1966), P.57.
- (159) نادية محمود مصطفى : العلاقات الدولية في الإسلام ، (القاهرة . 1996) ، ج1، ص143.
- (160) ابن أياس : المصدر السابق ، ج3 ، حوادث سنة 920هـ .
- (161) أما البرتغاليون فقد سيطروا على المحيط الهندي لقرن ونصف واغتتوا غناء كبيرا وازدهرت بلدان شواطئ المحيط الأطلسي والهندي في حين ركبت ثغور البحرين الأبيض المتوسط ، والاحمر ، ينظر : النهرواني : المصدر السابق ، ص2018.